وحُطْتَـهـا بالمجـانيق التي وقـفَتْ إزاء جـدرانهـا فى جَـحْـفَلٍ لَجِبِ

حيث بدت تلك المجانيق وكأنها توازى حريق « عـمـورية » وقـد أتى عليـهـا من كل جوانبها ، وهو ما أفاض الشاعر فى تصويره ، ثم أوجز وقفته عند قوله جامعا بين ممدوحه وحريق المدينة :

غادرتَ فيها بهيمَ الليل وهو ضُحَىً يشلُّه وَسْطَهـا صـبحٌ من اللهب

وها هى الدماء تتناثر وتتدفق لتملأ الميدان ، وهو ما يربطه الشاعر بمنطق القوة ، ويصوره فى سياق توحُّده مع السيوف ، وهو ما ورد عند أبى تمام فى قوله :

يارُبَّ حـوباءَ لما اجـتُثَّ دابرُهم طابَتْ ولو ضُمِّخت بالمسك لم تَطِبِ

وهنا :

وخلِّقت بالدم الأسْوَارُ فـابتـهـجت طِيـبـاً ولولا دمـاءُ القـوم لم تَطِبِ

وما أحرزته قضب الهندى فى حقل تصوير أبى تمام هو نفسه ما أحرزته السيوف هنا قريبا منه :

فـأحـرزَتْهُم ولكنَّ للسـيـوف لكى لا يلتـجئ أحـدٌ إلاَّ إلى هرب

وإذا بلوحتَيْن أخريين تتكرران بين إبداع الشاعـرَيْن ، فهما تمثلان أساساً فنيا لكلتا القصيدتَيْن ، وذلك أن مشهد الحريق بدا مدخلا أساسيا لتصوير هزيمة الأعداء ، وكذا بدا مشهد الفرار ومحاولة اللجوء إلى البحر وسيلة أخرى للهروب ، وهو ما عجز عنه العدو وقادته ، فعند أبى تمام يرد التصوير المفصل لمشاهد الحريق ، ومعه يحسن العودة إلى كل أبياته حول هذا الجانب من القصيدة ، وهي ما يقابلها هنا على درجة واضحة من الإيجاز :

وجـالت النار فى أرجـائهـا وعلَتْ فـاطفأت مـا بِصَـدْر الدين من كَـرَب

وهناك ضاقت الأرض والبحر بقائد الروم ، كما ضاقت بجنده :

هيـهـاتَ زُعْزِعت الأرضُ الوقـور به عن غَزْو محتسب لا غزو مكتسب

وهناك أيضا أعجزه البحر - على المجاز - عن تحقيق طموحه حين رأى من الحرب ما أفزعه هوله :

لما رأى الحرب رَأْىَ العينِ «تُوفِلسٌ» والحرب مشتقة المعنى من الحَرَب :